((سور مدينة الديوانية القديم))

&&& دراسة آثارية &&&

م.م رجوان فيصل الميالي

جامعة القادسية/ كلية الاداب / قسم الآثار

سور مدينة الديوانية القديم

دراسة أثارية

نشأة المدينة

"لقد ورثت مدينة الديوانية الحالية بلدة كانت في العهد العثماني وماقبله عامرة أهلة بالسكان هي مدينة الحسكة وقد نبه شأن هذه المدينة أي (الحسكة) بعد ضعف وخمول مدينة الرماحيةالتي اندرست في عام ١٧٠٠م وكانت من أمهات المدن العراقية في هذه المنطقة ونقصد بذلك مدينة الرماحية والتي مازالت أثارها ماثلة في منطقة تقع على بعد (٣٠) كم من جنوب غرب مدينة الديوانية "[١] ويذكر أحد المؤرخين "أن مدينة الحسكة من بين بلدان الفرات الاوسط التي تأسست بعد خراب الكوفة "[٢] وقد سكتت أغلب المصادر عن ذكر مدينة الحسكة عدا ماذكره هيمسلي لونكريك فقال"أن الفرات يمر من العرجة والسماوة ولملوم والحسكة .....الخ"[٣] ويذكر أحد مؤرخي هذه المدينة فيقول مانصه"أن تاريخ تمصير هذه المدينة حيث كانت موجودة قبل سنة ١٥٠٠م "[٤] ويصف مدينة الحسكة الشيخ العمري فيقول "الحسكة مدينة عامرة من اعمال بغداد "[٥] ويذكرها في مواضع متعددة العلاُمة السويدي فيقول مانصه" الحسكة مدينة مسورة وهي من احسن ضياع العراق وأنفع القرى على الاتفاق "[٦] ومن المستحسن أن نشير الى أن السيد أبراهيم بن الحسن بن علي خان الذي هاجر من الحجاز الى العراق كان يلقب (بالحسكي) وقد جاء من بعده ولده السيد موسى بن ابراهيم

١ـ مهرجان القادسية ـ (القادسية بين الماضي والحاضر) ١٩٨٦ ـ مجموعة مؤلفين ـ مطبعة الديواني ـ بغداد ١٩٨٦ ـ ص٤١

٢ـ الساعدي حمود ـ بحوث عن العراق وعشائره ـ مطبعة الاندلس ـ النجف ـ ١٩٩٠ـ ص١٤٠

٣ـ لونكريك ـ هيمسلي ـ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ ترجمة جعفر الخياط ـ مكتبة اليقضة العربية ـ بغداد١٩٨٥ ص١٤

٤ـ الميالي ـ فيصل ـ شذرات وسوانح عن السياح اللذين مروا بسنجق لواء الرماحية وبلداته الثلاث لملوم الحسكة الديوانية ـ مطبعة المارد ـ النجف ٢٠٠٨ ـ ج١ ـ ص ٥٥

٥ـ العمري ـ ياسين ـ غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ـ مطبعة دار البصري ـ بغداد ـ ١٩٦٨ ـ ص ٧

٦ـ السويدي ـ عبد الرحمن ـ حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ـ تحقيق عماد عبد السلام ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ ـ ٢٠٠٣ص٩١ـ٩٣

الحسكي وبنى مدينة لملوم التاريخية في الفترة من ١٣٨٠_١٤٥٠ "[١]

ونعتقد ان هذه الرواية تفيد بأن تأسيس مدينة الحسكة كان يسبق تأسيس مدينة لملوم التاريخية بما لايقل عن ٥٠ سنة فأن من المحتمل ان يكون بنائها تم

حوالي سنة ١٣٣٠م وبهذا تكون مدينة الحسكة مصرت قبل الاحتلال العثماني ومما يؤكد ذلك"الحسكة كانت ناحية من نواحي سنجق مدينة الرماحية "[٢] ومما يؤكد ماذهبنا اليه فيقول أحد المؤرخين "الحسكة بلدة لايعلم تاريخ تكوينها أول مرة حيث رددت المصادر أسمها منذ أوائل القرن الثاني عشر للهجرة الثامن عشر الميلادي وقد أدرك ولاة بغداد العثمانيين أهمية موقعها فعينوا لها ضابطا وكان لها سورا مزود بالمدافع وقد كان لضابطها مال ورجال "[٣] والحديث عن " أستبدال أسم الديوانية بالحسكة يستوجب الحديث عن القبائل والعشائر التي كانت تسكن المنطقة "[٤] وأتماما للفائدة نرى أن سبب "تسميتها بـ الديونية بدلاً من أسم الحسكة يعود الى نتائج الخصومة والحروب التي وقعت بين عشيرة الخزاعل من جهة وعشيرة الاقرع وعفك وجليحة من جهة أخرى فقد كانت تثار هذه الحروب لأتفه الاسباب مما أضطر قبيلة الاقرع لأن تبني لها قلعة على الجانب الايسر من نهر اليوسفية المندرس مقابل قرية أبي الفضل "[٥] " كما بنت الخزاعل قلعة على الجهة الثانية من الفرات في موقع الفرقة العسكرية الاولى سابقاً وكذلك داراً للضيافة من الاجر والطين واطلق عليها اسم (الديوانية) لأن المضيف لايبنى من الطين والاجر وأنما يبنى من القصب "[٦]

1ـ الميالي ـ فيصل غازي ـالقول المعلوم في تاريخ حمزة لملوم ـ بحث شامل ومعمق في تاريخ مدينة الحمزة الشرقي ـ مخطوط تحت الطبع

٢ـ القهواتي ـ حسين محمد ـ تاريخ العراق بين ألاحتلالين العثماني الاول والثاني ١٥٣٤ـ ١٦٣٨دراسة في أحواله السياسية والاقتصاديةرسالة ماجستير ـ جامعة بغداد ـ١٩٧٥ ـ ص١٢٩

3ـ البصري ـ عثمان بن سند ـ مطالع السعود ـ تحقيق عماد عبد السلام ـ وسهيلة عبد المجيد ـ مطبعة دار الحكمة ـ الموصل ١٩٩٦ـص٧٨

٤ـ مهرجان القادسية ـ القادسية بين الماضي والحاضر ـ ١٩٨٦ ـ ص٤١

٥ـ الالوسي ـ يونس ـ لواء الديوانية ماضيه وحاضره ـ بغداد ـ ١٩٥٤ـ ج١ ـ ص١١

٦ـ العامري ـ أحمد ـ القاموس العشائري العراقي ـ مطبعة الرافدين ـ لبنان ـ بيروت ـ ٢٠٠٩ـ ج١ـ ص٣٤١

" لذلك نجد أن أصول بعض المدن في العراق ترجع الى مبادرة أحد الشيوخ المنتسبين بتأسيس قرية صغيرة اوقلعة في منطقة عشائرية ويتبعه بعض أفراد العشائر بألاستقرار حولها فتنمو حتى تصبح بلدة أومدينة وفيما يلي عرض بعض الامثلة فقد أنشأت مدينة الديوانية كدار ضيافة لرؤساء الخزاعل في مشيخة حمد ال حمود " [١]فيقال مثلاً " ديوانية خزاعة ثم كثر أطلاق أسم (الديوانية) مجرد عن الاضافة بعد أن كانت تنسب الى خزاعة وذلك لشيوع أسمها وأشتهارها بين القبائل حتى محق أسمها أي (الحسكة) وصارت لاتعرف الابأسمها الجديد الديوانية أما التاريخ الصحيح لأنشاء الديوانية هو سنة١١٦٠هـ ـ١٧٤٧ م "[٢] ونظن أن هذا رأي لايقترب من الحقيقة.

ويذكرالسيد عبد الرزاق الحسني" الديوانية في الاصل دار ضيافة أنشأها رؤساء الخزاعل ليقيم فيها كاتبهم الذي يعهدون اليه امور الجباية ثم صار الناس ينشؤون حولها الصرائف فألاكواخ فالبيوت و لم تزل العمارة في تطور وتوسع وازدهار وفي سنة ١٢٧٥هـ ـ١٨٥٨م فأصبحت مصراً يقطنه التجار والباعة والصناع والحاكة واصبحت نفوسها زهاء عشرين الف نسمة"[٣] غير أن احد الباحثين له رأي يخالف ذلك حيث يقول فيه "لايمكن الاعتماد على السيد عبد الرزاق الحسني في أن تلك الدار أنشئت في ذلك العام وذلك لأن اسم الديوانية ظهر قبل هذا التاريخ حيث ذكرها الرحالة الالماني نيبور في رحلته سنة١٧٦٥ "[٤] وفي رحلة الدكتور المسيو أوتر التي جرت سنة١٧٤٣م زيارته لمدينة الديوانية ووصفه لها بأنها "مدينة كبيرة وهي واحدة من اغنى بلاد العرب في السلع الغذائية ومقابلته لحاكمها الضابط علي اغا الذي كان مقره في الديوانية أدعى للتصديق من كل الاقوال الاخرى لأنه شاهد على العصر وجاء ذلك منه بدليل كتابي موثق لايمكن نكرانه"[٥]

١ـ حسين ـ عبد الرزاق عباس ـ نشأة مدن العراق وتطورها ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ١٩٧٣ ـ ص٥٢

٢ـ بابان ـجمال ـ أصول أسماء المدن والمواقع العراقية ـ مطبعة الاجيال ـ بغداد ١٩٨٩ـج١ـ ص١٢٤ـ١٢٥

٣ـ الحسني ـ عبد الرزاق ـ العراق قديماً وحديثاً ـ مطبعة دار الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٨٠ـ ص١٥٤

4ـ الشيباوي ـ نعيم عبد جودة ـ الديوانية في ظل الاحتلال البريطاني ١٩١٧ـ ١٩٢١ـ رسالة ماجستير ـ جامعة بغداد ـكلية ابن رشدـ ص ١٤

5 ـ الميالي ـ فيصل غازي ـ تاريخ تأسيس مدينة الديوانية الحالية ـ مباحث فراتية في الجغرافية والتاريخ والاثار ـ الجزء الثاني ـ تحت الطبع ـ ص٨

وفي ظل هذا التباين في الاراء والاحاديث يتبادر الى الذهن سؤال متى مصرت مدينة الديوانية ومن هم عمارها وبناتها الأوائل فعلى أكثر الظن أن تأسيس مدينة الديوانية يرجع الى منتصف العقد العاشر من القرن الحادي عشر أي ١٠٩٥هـ /١٦٩٤م تقريباً وأننا نظن أن مؤسس وباني مدينة الديوانية الحالية يقع في أحتمالين الاول هو أحد سكنة مدينة الحسكة المقابلة لها في الضفة الشرقية من نهر ذياب لكونها كانت أيلة للخراب في ذلك الوقت والاحتمال الثاني وهو الارجح ان مؤسسها وبانيها هو سلمان بن عباس الخزاعي * زعيم قبيلة الخزاعل للفترة من ١٦٥٠م ـ ١٧٢٤ م وليس كما تزعم بعض المصادر بأن مؤسسها هو حفيده حمود ال حمد ال عباس شيخ الخزاعل للفترة من ١١٦٠هـ ـ ١٧٤٧م / ١١٩٢هـ ـ١٧٧٩ م لعدم وجود سند يدعم هذا الرأي وارى من المستحسن هنا أن أشير الى أن "سلمان بن عباس قد تحول من منزله القديم الكائن على مجرى فرات الرماحية الى بلدة الحسكة"[١] هذا ماذكره المؤرخ والشيخ الكبير المرحوم الساعدي .ولكننا نظن بأن تحول سلمان كان الى بلدة الديوانية وليس الى بلدة الحسكة لأن الحسكة تسكنها غالبية عظمى من قبيلة الاقرع الغريم الرئيسي لقبيلة الخزاعل وفي عام "١٢٦٧هـ ـ ١٨٥٠م خلال حكم والي بغداد عبد الكريم باشا (عبدي باشا)وخلفه محمد وجيه باشا في نفس العام "[٢]

---

*سلمان بن عباس بن محمد بن مهنا بن علي وهو ثاني رئيس قوي لقبيلة الخزاعل عثر على اسمه مدون في التاريخ في سنة ١١٠٢هـ ـ ١٦٩٣م ولمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية ينظر (الساعدي حمود ـ دراسات عن عشائر العراق (الخزاعل)ـ مطبعة الاداب ـ النجف الاشرف ١٩٧٤م ـ ص١٢و١٣)

١ـ الساعدي ـ المصدر نفسه ـ ١٩٧٤ ـ ص١٥

٢ـ الورد ـ باقر أمين ـ بغداد خلفأوها ولاتها ملوكها رؤسائها منذ تأسيسها عام ١٤٥هـ (٧٦٢)م الى عام ١٤٠٤هـ ـ (١٩٨٤)م ـ دار التربية للطباعة ـ بغداد ١٩٨٤ ـ ص٢٣٩

" أرتحل اهل الجانب الغربي (ساكني مدينة الديوانية) الى الجانب الشرقي (الحسكة سابقا)التي زالت من الوجود في هذا التاريخ"[١] وذلك تم " بعد أن هجم كريدي ال ذرب رئيس خزاعة على قلاع الحكومة العثمانية الواقعة في الجانب الغربي وأستولى عليها وأخذ المدافع والاطواب والمعدات الحربية منها وسلب الاهلين وذكر انه لم يبقى بعد هذا التاريخ في الجانب الغربي احد لأن غارات الخزاعل وال شبل دامت على الجانب الغربي وبقي اهل الجانب الشرقي قابعين داخل سورهم حتى سنة ١٢٧٤هـ ـ ١٨٥٧م "[٢]

ونعتقد انه لما كان أسم (الحسكة) قد محق ونسخ بأسم (الديوانية) وصارت المدينة سواء ماكان منها شرقي الفرات وهو (الحسكة) أو ما كان غربي الفرات وهو(الديوانية) لاتعرف الا بأسمها الجديد وهي(الديوانية) فقد كان سكان الجانب الشرقي القابعين بسورهم يسمون السور بـ (سور الديوانية) كتحصيل حاصل او لأنهم كانوا يسكنون مدينة الديوانية الواقعة في الجانب الغربي من النهر وعند نزوحهم منها الى الجانب الشرقي كما بينا ذلك قبل قليل فأنهم اعطوا اسم مدينتهم السابقة (الديوانية) للسور او هكذا كما يبدو من سير الاحداث ..

١ـ مهرجان القادسية الخامس في ٢٢ ايلول ١٩٨٧ ـ محافظة القادسية بين الماضي والحاضر ـ مجموعة من الباحثين ـ مطبعة الديواني ١٩٨٧ ص٦٦

٢ـ مهرجان القادسية ـ المصدر نفسه ـ ص٦٦

تاريخ ظهور الاسوار فى العمارة العراقية :

"لابد ان نشير بأن المدينة الواحدة في بداية نشوء العمارة في وادي الرافدين القديم كانت محاطة بأسوار وجدران تتخللها بوابات تكون لتقوية هذه الجدران بواسطة الابراج المعروفة . كما نعرف شيوع الاخذ بالمبدء العماري الذي يتميز بالطابع الدفاعي العسكري وطابع المركزية في السلطة على مجموعة معينة من الافراد وبضمنها المكان"[١] "أن مفهوم سور المدينة في وادي الرافدين يتوضح من اعتباره كتلة دفاعية ضد تحرشات المدن الاخرى وخاصة بدوافع أقتصادية بالدرجة الاولى هذا أضافة الى ان السور يعطي مفهوم المركزية و تفصل بوابات المدن الخارجية بين عالم المدينة الخارجي وبين عالم المدينة الداخلي "[٢] وعلى مايبدو ان "أقدم سور في العالم ظهر في مدينة أريحا بفلسطين وهو سور ضخم حجري كان يحيط بالموقع أجمعه وتم تشيد هذا السور في الالف الثامن قبل الميلاد "[٣] "وكشف التنقيب عن سور في موقع (تل الصوان)وان هذا السور شيد في منتصف الالف السادس قبل الميلاد ويعتبر اقدم نظام دفاعي من نوعه في بلاد الرافدين"[٤] "ويعتبر السور المحيط بمدينة الوركاء من اضخم الاسوار في السهل الرسوبي مع بداية الالف الثالث قبل الميلاد يبلغ محيطه زهاء (٩)كم "[٥] " أما الاسوار التي كانت تحيط بمدينة بابل التي عززها الملك نبوخذ نصر الثاني تؤلف نظاما دفاعيا لايمكن التعويض عنه "[٦]

١ـ كاسان ـ مدام الينا ـ مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين القديم ـ ترجمة وليد الجادر ـ مجلة سومر ١٩٧٥ ـ المجلد ٣١ ـ ص٣٤

٢ـ الجادر ـوليد ـ المدينة والبناء في وادي الرافدين ـ مجلة كلية الاداب ـ جامعة بغداد ـ ملحق العدد ٢٣ ـ ١٩٧٨ ـ ص٧٣

٣ـ غربية ـ عز الدين ـ فلسطين تاريخها وحضارتها ـ منشورات أتحاد المؤرخين العرب ـ بغداد ١٩٨١ ـ ص٣٤ـ ٧٢

٤ـ اوتس ـ ديفيد وجوان ـ نشوء الحضارة ـ ترجمة لطفي الخوري ـ دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ١٩٨٨ ـ ص١٥٤

٥ـ الدراجي ـ سعدي أبراهيم ـ عمارة القلاع وتخطيطها في شمالي العراق ـ رسالة ماجستر ـ كلية الاداب ـ جامعة بغداد ـ ١٩٨٥ ـ ص١٢٩

٦ـ كونتينو ـ جورج ـ الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ـ ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٧٩ـ ص٧١

وقد سورت مدن كثيرة بالعراق القديم ومنها "مدينة الحضر التي سورت بأسوار كبيرة أي سور خارجي فضلا عن السور الترابي وكذلك احيطت المدينة بسور داخلي محكم "[١] أما في عصر الدولة الاسلامية فقد نالت الاسوار نصيبها الاكبر من الاهتمام والحظوة فقد" أعتبر الدين الاسلامي بناء الاسوار والحصون والابراج والقلاع من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض وهي من مقاصد الاسلام ومن هنا صنفها الفقهاء تصنيفاً يضعها في عداد البناء الواجب ولاسيما أذا كانت الحاجة ملحة لأستخدامها في الدفاع عن حرمات المسلمين ووقفت عليها الاحباس لترميمها وتقويتها "[٢] وهذا نجده واضح جدا في عمارة المدن العربية الاسلامية فنلاحظ اول خطوة بهذا الاتجاه هي "بناء سور مدينة الموصل وكان يحيط بالمدينة في سنة ٦٥هـ ـ ٦٨٤م "[٣] وقد ذكر بحشل بأن "مدينة واسط سورت بسورين في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨١هـ "[٤] أما في العصر العباسي وفي سنة ١٤٥هـ " جعل الخليفة ابو جعفر المنصور لمدينة بغداد ثلاثة اسوار وهم السور الاول والسور الثاني (السور الاعظم) والسور الثالث "[٥] أما في العصرالعثماني (عصر بحثنا)فقد كانت المدن محاطة بأسوار محصنة ومحكمة حيث يقول احد المؤرخين " كانت مدن العراق في العصر العثماني كغيرها من مدن الشرق محاطة بأسوار تحميها من الغزوات المتكررة وتطيل فترة صمودها في أثناء الحصارات والحروب" [٦]

١ـ القيسي ـ منى عبد الكريم ـ أسوار المدن والقلاع في بادية الجزيرة في عصر ماقبل الاسلام ـ دراسة عمارية ـ رسالة ماجستير ـ كلية الاداب ـ جامعة بغداد ـ ٢٠٠٨ـ ص٧٢ـ٧٣

٢ـ عثمان ـ محمد عبد الستار ـ تحصين المدينة الاسلامية ـ عالم المعرفة ـ الكويت ـ ١٩٨٨ ـ ص١٣٥

٣ـ الصائغ ـ سليمان ـ تاريخ الموصل ـ المطبعة السلفية ـ مصر ـ ١٩٢٣ـ ط١ـ ص٤٣

٤ـ بحشل ـ أسلم بن سهل ـ تاريخ واسط ـ تحقيق كوركيس عواد ـ مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٧ ـص٤٣

٥ـ علي ـ فاروق محمد ـ الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة العربية الاسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي ـ أطروحة دكتوراه ـ جامعة بغداد ـ ٢٠٠٦ـ ص٧٥

٦ـ روؤف ـ عماد عبد السلام ـ المدينة في القرون المتأخرة ـ موسوعة المدينة والحياة المدنية ـ ج٣ ـ بغداد ١٩٨٨ ـ ص٤٤

"أهتم العثمانيون منذ أول عهدهم بالبلاد في القرن السادس عشر بتعزيز تحصينات مدن العراق وأسوارها فكانت مدينة بغداد من المدن المسورة "[١]وقد شملت حركة التسوير مدنا عراقية أخرى كانت قد تعرضت لهجمات الايرانيين وغيرهم "فبني سور لمدينة مندلي وعمر سور مدينة الحلة وجدد سور ماردين وقد استحدث سور لمدينة الزبير الواقعة جنوب البصرة على حافة البادية "[٢]كما سورت العديد من المدن في تلك الحقبة "مثل مدينة السماوة كانت من المدن المحاطة بسور كبير "[٣]كما زودت "مدينة كربلاء بسور عظيم بني بمادة الرهص "[٤] وكان أيضا "لمدينة الكوت سور يحيط بها مبني من مادة اللبن والطين "[٥] وعلى أكثر الظن أن الخطط العسكرية التي وضعها السلاطين العثمانيين المتمثلة ببناءالاسوار والقلاع والحصون والثكنات العسكرية حول المدن العراقية ناتج من تدهور الاوضاع المتوترة في العراق وذلك من خلال سيطرة الايرانيين على بعض المدن العراقية هذا من جهة وتمرد بعض القبائل العراقية على ولاة الدولة العثمانية لذلك "تكشف أعمال السلاطين العثمانيين الاوائل في العراق عن ان نظرتهم الى المدينة العراقية تقوم على اساس أنها ليست ألاحصناً أو قلعة مهمتها حفظ الاراضي التابعة للسلطان "[٦]لابد من الاشارة بأن " الاسوار بمفهومها العام واحدة من أساليب وأنماط التحصينات الدائمية للمستوطنات على اختلاف سعتها وأهميتها والسور بمعناه الوظيفي والعماري عبارة عن حاجز أصطناعي محكم البناء يشيد حول المراكز السكنية أو أي مكان أخر يخشى عليه ويراد حمايته والحفاظ عليه والسور بناء يرتفع عن مستوى سطح الارض المستوطن

١ـ جلبي ـ أوليا ـ سياحتنامة سي (بغداد الجنة العامرة) ـ ترجمة وتعليق محمد جميل الروزبياني ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ ١٩٩٨ ـ ص٤٥٠

٢ـ رؤوف ـ عماد عبد السلام ـ المدينة العراقية ـ موسوعة حضارة العراق ـ ج١٠ ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٨٥ ـ ص١٤٥

٣ـ دهيرب ـ عدنان سمير ـ السماوة بين أحتلالين ـ الطبعة الاولى ـ ٢٠٠٩ ـ ص٩

٤ـ رحلة ابو طالب خان الى العراق واوربا (١٧٩٩م ـ ١٢١٤هـ)ـ ترجمة مصطفى جواد ـ مطبعة الايمان ـ بغداد ١٩٦٨ ـ ص٣٨٣

٥ـ البكري ـ عادل ـ تاريخ الكوت ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٧ ـ ص٩٢

٦ـ رؤوف ـ عماد عبد السلام ـ الحياة الاجتماعية في العراق أبان عهد المماليك (١٧٥٠ـ ١٨٣١) م ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ كلية الاداب جامعة القاهرة ـ ١٩٧٦ ـ ص٥٦

يتناسب أرتفاعه وحجمه وأمتداداته مع ارتفاعات مستويات ابنية المدينة وحجمها بحيث ظهرت الاسوار كأحدى المعالم المهمة بالمدينة"[١] وأنطلاقاً من الاهمية الكبرى للأمن الذي يتوفر بتحصين المدينة الاسلامية فقد " أعتبر السور من المعايير الحضارية التي تميز المدن "[٢] ونظن من خلال بناء هذا العدد من الاسوار التي كانت تحيط بالمدن العراقية القديمة والمدن الاسلامية والمدن العراقية في العصر العثماني فأننا نلاحظ بأن السور كان من العناصر العمارية المهمة جداً في نشأة المدن وتحصينها حيث نستطيع ان نقول بأن الاسوار التي كانت تحيط بالمدن في العصر العثماني ماهو الاتقليد عماري كان موجود في المدن العراقية القديمة والاسلامية .

وهذا نجده واضح جدا في العصر العثماني حيث يقول احد المؤرخين " اما في العهد العثماني فقد بقيت الاسوار موضع أهتمام الولاة "[٣] وجسدت حركة التسوير في " سور مدينة الموصل في العهد العثماني حيث يبلغ طول السور زهاء ١٠كم وارتفاع ١٠ متر وبثخن يبلغ ٣متر" [٤]

١ـ الميالي ـ رجوان فيصل ـ القلاع في وسط وجنوب في العراق عمارتها وتخطيطها خلال فترة الاحتلال العثماني ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ جامعة بغداد ـ كلية الاداب ـ ٢٠٠٩ ـ ص١٤٥

٢ـ عثمان ـ محمد عبد الستار ـ المصدر السابق ١٩٨٨ـ ص١٣٢

٣ـ الميالي ـ المصدر السابق ـ ٢٠٠٩ـ ص١٤٨

٤ـ رؤوف ـ عماد عبد السلام ـ الموصل في العهد العثماني ـ مطبعة الاداب ـ النجف ١٩٧٠ ـ ص٤٣٠

مراحل ترميم وتجديد السور:

ترتبط مراحل تجديد وترميم السور بالواقع السياسي في مدينة الديوانية والمناطق المجاورة لها وهذا الواقع يتمثل بعلاقة الحكومة العثمانية مع القبائل والعشائر الموجودة في المنطقة هذا من جهة ومع ظهور وتنامي الحركة الوهابية وشن غاراتها على المدن العراقية من جهة أخرى ....

أقدم أشارة جائت مفصحة عن أمر هذا السورهي "في عهد الوالي العثماني مصطفى باشا دال طبان في سنة(١١١١- ١١١٤هـ ــ ١٦٩٩- ١٧٠٢م)"* حيث قام هذا الوالي من أجل أضعاف قوة الشيخ سلمان بن عباس الخزاعي "أصدر عفواً عن القبائل ومنحهم الامان وأمنهم على عيالهم وأموالهم بهدف اضعاف قوة الشيخ المذكور من أجل تعزيز سلطة الحكومة أمر بترميم سور الحسكة وأمر ان يحافظ على السور من تعديات القبائل عليه "[١]وحسب مانظن ان هذه المرحلة من الترميم والتجديد هي اول مرحلة مرت على سور الحسكة كما ان الوالي المذكور زود السور بهذه المرحلة من الترميم بـ " أربع قطع من مدافع الهاون المسماة خميرة وبالميز وأعد كل مايقتضي من ألات وأدوات وهيأ اللوازم من صغيرة وكبيرة لهذا الغرض وأعطى الاوامر لمن يهمه "[٢] ويظن أنها مرحلة جيدة من التجديد والترميم فقد يكون السور بهذا الوقت أضيفت له عناصر عمارية مثل الابراج والشرفات والدعامات التي تسند السور من الداخل .أما بالنسبة لمرحلة التجديد الثانية فهي تكون ضمن مدة حكم "الوالي حسن باشا سنة ١١١٧هـ ١٧٠٥م "[٣]

---

*نظن بأن تاريخ بناء السور أقدم من هذا التاريخ لأن تمصير مدينة الحسكة كان أقدم من هذا بكثير وخصوصا أذا ما عرفنا بأن مدينة الحسكة في أول أمرها كانت حصناً عسكرياً ولابد لهذا الحصن من سور يحميه فقد تكون هنا بداية أنشاء السور وليس في عهد الوالي مصطفى دال طبان لمزيد من التفاصيل عن هذا الوالي ينظر (الورد ـ باقر ـ المصدر السابق ١٩٨٤ ـ ص٢١٢)

١ـ الريشاوي ـ متعب خلف ـ أمارة الخزاعل في العراق ـ دار الضياء للطباعة ـ التجف الاشرف ـ ط١ ـ ٢٠٠٩ ـ ص٧٦

٢ـ العزاوي ـ عباس ـ تاريخ العراق بين احتلالين ـ شركة التجارة للطباعة المحدودة ـ بغداد ١٩٥٣ ـ ج٥ ـ ص١٤٦

٣ـ علي ـ علي شاكر ـ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ـ ١٧٥٠م دراسة في احواله السياسية ـ مطبعة الشعب ـ ط١ـ ١٩٨٤ـ ص١٠٩

" فقد جرد حملة عسكرية كبيرة على الشيخ سلمان بن عباس الخزاعي الذي أتخذ من الحسكة مقراً له بعد أن طرد الموظفين الاتراك منها وبدأ يهاجم القوافل التجارية ولما وصلت أخبار حملة الوزير حسن باشا العسكرية الى الحسكة أنسحبت خزاعة من الحسكة وتحصنوا في السماوة "[١] حيث امر الوزير حسن باشا في نفس السنة أي سنة ١١١٧هـ ـ ١٧٠٥م " بنقل الاطواب (المدافع) الى سور الحسكة لأجل حمايته وأيضاً أمر هذا الوزير بترميمه ومن أن يحافظ عليه خشية هجوم سلمان الخزاعي وصولته " [٢] لقد قام هذا الوزير بتجديد وترميم السور وتزويده بالمدافع وهذا الترميم جاء بعد ان عبث الشيخ سلمان بجدران السور وجعل فيه ثغرات وربما قام الشيخ المذكور بنقل مواد بنائية من السور الى أبنية أخرى تعود له فقد جاء هذا التجديد لسد الثغرات الموجودة في السور وبناء الاجزاء المتصدعة منه وأضافة أرتفاعات أخرى للسور لكي يصبح أكثر مناعة ومما لاشك فيه ان الوزير قام بعمل أماكن مخصصة في السور لوضع المدفع عليه كالحجرات التي تعلو الابراج وتفتح فيها فتحات لرمي قنابل المدافع منها ولانعلم مادة البناء التي أستخدمت في ترميم السور في هذه المرحلة ولكننا نظن بأنها كانت من الاجر والطين ..

أما بالنسبة للمرحلة الثالثة من التجديد فقد ورد " أن الوالي سليمان باشا أبو ليلة المملوكي بلغ الحسكة والديوانية ونصب خيامه على نهر الفرات "[٣] توجه الوالي الى الحسكة في سنة ١١٥١هـ ـ ١٧٣٩م " وأمن طرقاتها وحصنها من جميع جهاتها "[٤] وهذا مأكده السيد حمود الساعدي عندما يقول مانصه " سليمان باشا ابوليلة أجرى بعض الاصلاحات في الحسكة ليصلح منها بعض شؤونها وعندما دخل الديوانية حصنها من جميع جهاتها "[٥] وعلى مايبدو ان هذه المرحلة من التجديد والترميم كانت كبيرة حيث اضيفت لهذا السور بعض الابراج الكبيرة وعددها ربما اثنين فقط اضافة الى ذلك فقد يكون السور رمم وحصنً من جميع جهاته في هذه المرحلة ولكننا لانعلم على وجه الخصوص كيفية شكل هذا الترميم

١ـ الريشاوي ـ متعب ـ المصدر السابق ـ ٢٠٠٩ـ ص٨٥

٢ـ الساعدي ـ حمود ـ الديوانية أو الحسكة قديماً وحاكمها علي أغا ـ مجلة الرسالة ـ السنة الاولى ـ العدد٢ ـ أب ١٩٦٨ ـ ص٢٦

٣ـ الكركوكلي ـ رسول حاوي ـ دوحة الوزراء ـ ترجمة موسى كاظم نورس ـ مطبعة أمير قم ـ ط١ ـ ص١٧٤

٤ـ السويدي ـ عبد الرحمن ـ المصدر السابق ـ ٢٠٠٣ ـ ص٤٢٨

٥ـ الساعدي ـ حمود ـ المصدر السابق ـ ١٩٩٠ ـ ص١٤٦

وهذه المرحلة من الترميم قد تتطابق مع ماذكره المرحوم وداي العطية حينما قال "كان الجانب الشرقي محاط بسور يلتقي طرفاه بنهر الفرات وكان النهر حاجزا طبيعياً يصد غارات خزاعة على البلدة في ذلك الوقت وكان للسور في هذا الوقت برجان (مفتولان) أحدهما في الجهة الشرقية وثانيهما في الجهة الغربية "[١] وقد يكون حال السور في هذه الفترة هو نفس مرحلة ترميم وتجديد الوالي سليمان ابو ليلة ... أما بالنسبة للمرحلة الرابعة من الترميم فهي على مايبدو في زمن الوالي سليمان باشا الكبير " على الرغم من القسوة التي اتبعها سليمان باشا الكبير في قمع ثورات عشائر الخزاعل والتبديلات التي أجرها في زعامتها ألا أن ذلك لم يمنع هذه العشائر من الخروج على سلطته في العراق في السنوات(١٧٩٣- ١٧٩٥- ١٧٩٧-١٨٠١م) وقد كانت أستجابة هذا الوالي لهذا التحدي سريعة وقاسية أذا أمر بالمدفعية بالمسير لضرب الخزاعل بقوة "[٢] ويوصف هذا الوالي بأنه " يحب العمارة العسكرية والحربية حيث بنى العديد من القلاع والحصون والقناطر وعمر الكثير من أسوار المدن العراقية وكان كثيراً مايؤكد على الباب العالي في أسطنبول على ترميم القلاع والاسوار "[٣] وهذا مأكده الكثير من المؤلفين على حب هذا الوالي للعمارة الحربية حيث يقولون بهذا الخصوص مانصه" فقد استطاع بعض الولاة العثمانيين مثل سليمان باشا الكبير القيام بجملة من الاعمال والاصلاحات العمرانية فقد عمر سور بغداد وبنى قلاعا في كوت الامارة ومخازن للغلال في انحاء بدرة وجصان ورمم سور مندلي كما رمم سور البصرة وكذلك سور الحلة واحدث سورا لماردين "[٤] والامر نفسه واضح جداً عندما يقول أحد الباحثين الكبار بأن سليمان باشا الكبير " هو الذي بنى سور مدينة النجف سنة ١٢٠٣هـ - ١٧٨٨م "[٥] فكيف لانظن بأن الوالي سليمان باشا الكبير هو احد مجددي ومرممي سور مدينة الديوانية ونحن على علم بأنه شن عدة حملات عسكرية على الخزاعل

١- العطية - وداي - تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً - مطبعة شريعت - أيران - منشورات المكتبة الحيدرية - النجف - ص ٣٤- ٣٥

٢- الانصاري - تنين صادق - العراق في عهد الوالي سليمان باشا الكبير ١٧٨٠- ١٨٠٢م - دراسة سياسية - رسالة ماجستير - جامعة البصرة - ١٩٩٨ - ص٤٧

٣- الميالي - رجوان - المصدر السابق - ٢٠٠٩- ص١٠- ١١

٤- نورس - علاء موسى - حكم المماليك في العراق ١٧٥٠ - ١٨٣١م - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٥ - ص١٣٧- ١٣٨

٥- الحكيم - حسن عيسى - أسوار مدينة النجف الاشرف - مجلة سومر - الجزء الاول والثاني - المجلد الثامن والثلاثون - ١٩٨٢- ص٢١٣

المستوطنين في انحاء هذه المدينة واتخاذها قاعدة لضرب القوات الحكومية التي بدأت من سنة ١٧٩٣الى ١٨٠٢م وهي سنة أنتهاء حكمه في العراق هذا من جانب ومن جانب اخر هو ترميم سور مدينة الحلة ومدينة النجف القريبتين من مدينة الديوانية من قبل هذا الوالي ... وظننا هذا يأتي متطابق جداً مع ما جاء به صاحب كتاب اوراق من ذاكرة مدينة الديوانية عندما يقول " في عام ١٨٠٢م برزت مدينة الديوانية كبلدة ذات سور يمتد من ضفتي الفرات " * وعلى مايبدو ان سور الديوانية في هذا التاريخ شمله تجديد الوالي المذكور كما هو الحال في تجديده لسور الحلة والنجف والبصرة و بغداد في نفس الفترة تقريباً..

والمرحلة الخامسة من تجديد وترميم سور الديوانية جائت تحديداً في سنة ١٨٥٠م ـ ١٢٦٧ هـ عندما أرتحل أهل مدينة الديوانية من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي بعد أن " هجم كريدي ال ذرب رئيس خزاعة على قلاع الحكومة العثمانية الواقعة في جانبها الغربي وأستولى عليها وأخذ الاطواب والمدافع والمعدات الحربية وسلب الاهليين وذكر انه لم يبق بعد هذا التاريخ في الجانب الغربي أحد لأن غارات الخزاعل وال شبل دامت على الجانب الغربي وبقي أهل الجانب الشرقي قابعين داخل سورهم حتى سنة ١٨٥٧مـ ١٢٧٤هـ "[١] ويذكر بهذا الصدد احد الباحثين فيقول مانصه " كانت مدينة الديوانية بسورها في الجانب الشرقي تتحصن من هجمات خزاعة وال شبل " [٢] ويشير السيد زهير كاظم عبود الى هذا فيقول " نزح جميع سكان الديوانية الغربيين الى الجانب الشرقي تاركين دورهم القديمة فسورو البلدة لتحميهم من غارات القبائل وشرورها وأتخذوا من أبناء عشيرة الاكرع حراسا وأوكلوا لهم حراسة البلدة الوليدة ودورها وأسواقها وخاناتها لقاء أجر معلوم " [٣] يتضح من هذا النص أي عبارة (البلدة الوليدة) بأن السكان النازحين من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي قاموا بعدة إصلاحات داخل المدينة ومن أبرزها هو ترميم وتجديد السور وذلك لحاجتهم الماسة اليه وتشير أحدى المصادر المطلعة على تاريخ مدينة

---

*على أكثر الظن بأن السور في هذا التاريخ ظهر بحلته الجديدة مما أدى الى ان تبرز المدينة بسورها المرمم والمجدد بشكل مختلف عن سابقه وذلك لأن السور أقدم من تجديد وترميم هذا التاريخ أي ١٨٠٢م ولمزيد من التفاصيل عن هذا التجديد ينظر (عبود ـ زهير كاظم ـ أوراق من ذاكرة مدينة الديوانية ـ دار الضياء للطباعة ـ النجف الاشرف ـ ٢٠٠٨ ـ ص١٢٨)

١ـ مهرجان القادسية ـ المصدر السابق ـ ١٩٨٧ـ ص٦٦

٢ـ غركان ـ رحمن ـ في الديوانية الماء يلد ألامكنة ـ مجلة الديوانية ـ العدد ٤ ـ ٢٠١٢ ـ ص٢٢ـ ٢٣

٣ـ عبود ـ المصدر السابق ـ ٢٠٠٨ ـ ص١٢٨

الديوانية بهذا الخصوص فقالت مانصه " عندما أنتقل أهالي الديوانية من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي منه عام (١٨٥٠)م جدد سور الجانب الشرقي عندما كانت الحسكة قائمة قبل أندثارها " [١] من خلال هذه الاشارة والاشارات التي سبقتها يتبين بأن سور مدينة الديوانية قد تعرض الى مرحلة أصلاح وتجديد مهمة جداً من قبل الاهالي عند نزوحهم الى الجانب الشرقي ولابد أن يكون البناء في هذا السور من الاجر والجص وتحضير كل مستلزمات التحصين الكافية مثل تجديد الابراج وهيكل الجدران من الداخل والخارج ومع تقدم فن عمارة التحصين بهذا التاريخ فقد أضيف لهذا السور عدد من الابراج الدفاعية ومن المحتمل قد تكون دائرية الشكل وهذا الشكل الشائع في عمارة الابراج في العصر العثماني وتدعمها الفتحات الشاقولية (المزاغل) وكذلك أحكام بوابة السور ومدخله بالتحصينات اللازمة لذلك ....

المرحلة السادسة والاخيرة من مراحل التجديد فتعتبر من أكبر وأوسع مراحل التجديد التي مرت على سور الديوانية وقد تمت هذه المرحلة من الترميم في عام ١٩١٧م أي عند سقوط مدينة بغداد بيد القوات البريطانية وقد تضاربت الاراء في شأن هذا التجديد والترميم فأن بعض المصادر تذكر بأن القوات البريطانية حين دخلت الى الديوانية قامت بأجراء هذا التجديد وبهذا الصدد يذكر احد المؤرخين مانصه " لاشك بأن الانكليز عند أستعمارهم الديوانية قد أعادوا ماتهدم من سور المدينة وذلك ليكون رادعاً لقبائل الديوانية بعد أن ذاقوا منهم الامرين أبان ثورة العشرين "[٢] ومما يؤكد هذا الرأي أحد المؤرخين فيقول مانصه "أصدر الحاكم السياسي (ديلي) أمره في أن ينزل الخيال عن ظهر جواده قبل أن يبلغ سور مدينة الديوانية بـ (٢٠٠) متر فيدخل المدينة وهو يقود فرسه بيده "[٣] ومن هذين النصين نفهم بأن القوات البريطانية وعلى رأسهم الطاغية (ديلي) كانوا يولون السور أهتمام خاص ويعتبر لديهم نقطة خروج ودخول . أما الرأي الاخر فيذكر بأن أهالي مدينة الديوانية قاموا بترميم سور مدينتهم حيث تتحدث المصادر بأسهاب عن هذا الترميم فيقول أحد الكتاب

١ـ الزيادي ـ محمد صالح ـ قراءة أولية في الحسكة نشأتها وعلاقتها بالسلطات العثمانية ١٧٠١ـ ١٨٢٠م ـ مجلة القادسية للعلوم الانسانية ـ المجلد ١١ـ العدد١ـ٢ لسنة ٢٠٠٨ـ ص٣٢٨

٢ـ القطان ـ عبد الكريم ـ مذكرات من جنوب العراق من الطفولة الى المنفى ـ دار الساقي ـ بيروت ط١ ـ ٢٠٠٥ ـ ص١٣٣

٣ـ مذكرات السيد محمد علي كمال الدين ـ من رجال ثورة العشرين العراقية ـ تقديم وتحقيق كامل سلمان الجبوري ـ مطبعة دار الثقافة ـ بغداد ١٩٨٧ ـ ص١٣٠ـ ١٣٣

" أما أهالي الديوانية لم يقفوا مكتوفي الايدي أمام حالة عدم الاستقرار التي حلت بمدينتهم فتولى شباب البلدة الحفاظ على الامن والنظام فأستولوا على السلاح والمعدات الحربية وقسموها فيما بينهم وجددوا بناء المتهدم من السور وأقاموا عليه ستة أبراج وكان يقودهم الرئيس العام في البلدة محمد ال حاج محيسن بن كور علي "[١] وبهذه المرحلة من تجديد السور يذكر الدكتور علي الوردي مانصه "أما أهالي الديوانية فقد أسرعوا فجددو بناء الاجزاء المتداعية من سور البلدة أستعداداً للطوارئ وأقاموا عليه ستة (مفاتيل) أي أبراج"[٢] ويطنب مفتي مدينة الديوانية السيد الواعظ بهذا الشأن فيقول مانصه "قام أهالي الديوانية بترميم سور مدينة الديوانية من جوانب المدينة الاربعة وبنو علية ستة قلاع واحدة منها غربي الديوانية في الثكنة العسكرية وأودعوا حفظها للجند الموجود هناك"[٣] اما بالنسبة للقلاع و الابراج الاخرى المقامة على السور فأن البرج الثاني يقع "بالركن المقابل لطريق ابي الفضل وهذا أمام يزعمون الشيعة أنه من ابناء موسى بن جعفر الكاظم الذي يبعد عن الديوانية ميل واحد من جهة الغرب الشمالي "[٤] " أما بالنسبة للبرج الثالث فيتخلل السور من جهة باب الدغارة ويقع شمال البلدة والبرج الرابع يقع في الموقع المقابل لبلدة الفوار والخامس في باب الفوار وكلاهما في شرقي البلدة "[٥] والبرج السادس الذي يدعم السور فيكون "عند النهر من جهة الشرق وأودعو حفضها لهم وللضابطية فكان يحرسه ليلا عشرة أشخاص من الاهالي وعشرة من الضابطية "[٦]

١ـ الدوري ـ أسامة عبد الرحمن ـ الديوانية في سنوات الاحتلال البريطاني في ١٩١٧ـ ١٩٢٠ ـ مجلة القادسية ـ مجلة علمية تصدرها جامعة القادسية ـ مجلد ٢ ـ العدد ٤ ـ ٢٠٠٢ ـ ص٢٠٩

٢ـ الوردي ـ علي ـ لمحات أجتماعية من تاريخ العراق الحديث ـ مطبعة الشعب ـ بغداد ١٩٧٤ ـ ج٤ ـ ٣٣٩

٣ـ الواعظ ـ مصطفى نور الدين ـ الروض الازهر في تراجم أل جعفر ١١٨٠ـ ١٣٦٨هـ / ١٧٦٦ـ ١٩٤٨م ـ مطبعة ألاتحاد ـ الموصل ١٩٤٨ ـ ص٤٥٥

٤ـ الواعظ ـ المصدر نفسه ـ ص٤٥٥

٥ـ العطية ـ المصدر السابق ـ ص١٤١

٦ـ الواعظ ـ المصدر السابق ـ ١٩٤٨ـ ص٤٥٥

ومن خلال هذا التجديد والترميم لسور الديوانية تبين أنها تجديدة كبيرة حيث أضيف للسور (٦) ابراج كبيرة حتى أن بعض المؤرخين يطلقون عليها قلاع وذلك لكبر حجمها وأرتفاع جدرانها وسمكها وكذلك وزعت هذه الابراج على كافة جوانب السور وسميت البعض منها بأسماء مدن أخرى في نفس أتجاه هذه المدن مثل مدينة الدغارة والفوار هذه دلالة على كبر هذين المدينتين

وصف السور:

كان لمدينة الديوانية في العهد العثماني كما أسلفنا سور يحيط بالجانب الشرقي فقط من جميع جهاته حيث يبلغ طول السور الكلي حوالي (٢) كم تتوزع بالشكل التالي يبلغ طول الضلع الشمالي ٤٥٠ متر أما بالنسبة للضلع الجنوبي يبلغ طوله حوالي ٥٤٠ متر أما الضلع الشرقي وهو الضلع الكبير والرئيسي من أضلاع السور الثلاثة لأنه يربط الضلع الشمالي بالجنوبي حيث يبلغ طوله حوالي ١٠٨٥متر وهذا الضلع من جهة شارع علوة الاسماك القديمة .

أما بالنسبة الى جهة النهر فهي من غير سور حيث يعتبر النهر بمثابة عائق طبيعي يحمي سكان المدينة من الاعتداءات الخارجية ويبلغ طول هذا الجانب ١٠٠٦ متر ولابد من الاشارة بأن السور بكل اضلاعه "بني بمادة الاجر والطين "[١] ومادة الطين هي المادة الرابطة بين صفوف وطبقات الاجر ومع مرور الوقت وتكرار مراحل الترميم أستبدلت مادة الطين بمادة الجص فأصبح السور مبني من مادة الاجر والجص ينظر(الشكل ـ ١) ويبلغ أرتفاع السور تقريباً (٧) حيث نظن بأن سور مدينة الديوانية لم يكن من الاسوار المرتفعة والعالية *ويبلغ سمك السور تقريباً

١ـ مهرجان القادسية ـ المصدر السابق ـ ١٩٨٦ ـ ص٤٣

*لانملك قياسات دقيقة عن أرتفاعات هذا السور لأنه مندثر تماماً في الوقت الحاضر هذا من جانب ومن جانب أخر الكثير من المختصين بعمارة العصر العثماني يقولون " مع أستخدام اسلحة متطورة في العصر العثماني أخذت ملامح العمارة الحربية تتواءم وهذا التطور الجديد في التسليح عكس ماكان عليه الحال في العصور السابقة فاصبحت أرتفاعات ألاسوار والابراج اقل بكثير بعد أن أصبح في استطاعة ألات الحرب الحديثة هدم الحصون والاسوار المرتفعة مهما بلغت من الارتفاع والضخامة ومع بداية القرن ١٠هـ / ١٦م أنتشرت المدفعية وأتقن فنها في فرنسا وتركيا ولهذا أثر كبير على التحصينات التي جرت العادة لحماية المدن بها فلم تعد الاسوار العالية قادرة على تحمل ضربات المدفعية وكان لابد من تقوية هذه الجدران بميل كثيف من الرمال وأمعانا في حماية الاسوار خفضت أرتفاعاتها لحجبها قدر الامكان عن متناول العدو ومدفعيته لمزيد من التفاصيل عن التطور الذي حصل على الاسوار في العصر العثماني ينظر (عثمان ـ محمد عبد الستار ـ المصدر السابق ـ ١٩٨٨ ـ ص١٤٤ـ ١٤٥)

(٢) متر * وينقل لنا أحد الباحثين فيقول مانصه "يمتد سور الديوانية من شمال البلدة في موضع هو اليوم مديرية التربية في المحافظة ليمتد شرقاً في نصف دائرة تتوسطها بوابة في وسطه في الجانب الشرقي هي باب الدغارة في موضع هو ألان أخر سوق التجار الكبير ومن ملك يعود ألان الى ورثة الحاج صلال فاضل الموح ثم ينعطف نحو الجنوب الشرقي لينتهي عند النهر في موضع مستشفى الديوانية الجمهوري القديم "[١] وعلى أكثر الظن أن السور يمتد من بيت سيد عباس الزاملي القريب من مديرية التربية الحالية ويأخذ طولاً الى منطقة السوق أي بأتجاه قصر الحرية اليوم ثم ينعطف على شكل نصف دائرة الى شارع علوة الاسماك القديمة ويستمر السور بألامتداد حتى يصل الى نقطة هي اليوم فتحة سوق التجار من جهة شارع علوة الاسماك وبهذا المكان يقع مدخل السور الوحيد وهو مدخل محصن أنظر (مجسم ـ ١)وهذا ماوصفه شاهد عيان فقال مانصه " كان على جانبي بوابة السور غرفتان كبيرتان لابد أنهما كانتا مخصصتين للحراسة "[٢] ومن المحتمل بأن هذا المدخل كان معمول وفق نظام البوابات والمداخل المزورةَ(المنكسرة) **

---

*لقد كانت الاسوار في العهد العثماني تقوى بميل كثيف من الرمال ومن ثم تغلف هذه الاسوار بمادة الاجر المهندم ويطلى بطبقة من الجص ثم توضع بداخله أنواع من الاجر الغير مهندم الذي يسمى (الرهص) هي الصخور المتراصة بعضها البعض لكي يكون السور سميك ويتحمل ضربات المدافع وهذا ما شاهدته بأم عيني بالمقطع المتبقي حالياً من سور مدينة النجف ولربما يكون سور الديوانية نفس القياسات والابعاد وخصوصا أذا ماعرفنا بأنهم من نفس العصر

١ـ عبود ـ المصدر السابق ـ ٢٠٠٨ ـ ص١١٥ـ ١٢٨

٢ـ القطان ـ عبد الكريم ـ المصدر السابق ـ ٢٠٠٥ ـ ص١٣٢

**ذكر شاهد عيان بأن هذا المدخل هو الجزء الاخير الذي بقى عامراً من أجزاء السور حتى سنة ١٩٤٥ ووصفه بأنه كان كالجبل لعلو بنائه وضخامته وكمية مواد البناء الذي وضعت فيه من الاجر والجص والطين وأن الباب الذي كان يغلق هذا المدخل فانه معمول من مادة الخشب السميك ومغطى بصفائح من الحديد تثبت بواسطة مسامير كبيرة الحجم ذات رؤوس دائرية الشكل أخذت هذه المعلومات من السيد محي السيد عصفور من مواليد الديوانية في عام ١٩٢٧ وذلك في لقاء معه في بيته المصادف ٢٠١٢/٣/٢٥ .

وأن هذا النوع من المداخل المزورةِ يجعل المهاجم على المدينة ينحرف كليا بزاوية قائمة ممايعطي فرصة كبيرة للمدافعين من توجية ضربات قوية للمهاجمين علماً أنها ظاهرة عمارية موجودة بالعراق القديم والاسلامي وأيضاً موجودة في عمائر العصر العثماني كما هو الحال في مدخل قلعة ذرب في قضاء غماس ينظر (الشيخ ـ علي ـ قلعة الخزاعل ـ مجلة كلية الاداب ـ جامعة القادسية ـ المجلد ١١ـ العدد٣ ـ ٢٠٠٨ ـص٥٩)

ويستمر السور بألامتداد ضمن حدود شارع علوة الاسماك (شارع المواكب اليوم) الى أن يصل السور الى تقاطع شارع التايرات اليوم ثم ينعطف بألامتداد الى أن يصل الى منطقة الكرفت اليوم ومن ثم يواصل أمتداده الى ان يصل الى النهر في نقطة هي اليوم بالقرب من مديرية كهرباء الديوانية وجسر الابطال الخمسة .

أضافة الى ذلك فأن هذا السور كان مدعم بأبراج عددها ستة الاول منها يقع في الثكنة العسكرية من جهة النهر أنظر (مجسم ـ ٢) والبرج الثاني يقع في ركن السور المقابل لمرقد أبو الفضل ويقع شمال غربي المدينة وتحديداً قرب قصر الحرية اليوم ومن مكان هذا البرج كانت أرض فضاء وفارغة حيث يقول أحد الباحثين بهذا الصدد مانصه " كانت بجوار السور الشمالي للمدينة ساحة وفضاء يختاره الناس في المدينة للأحتفال بالعيد "[١] وكذلك يصف هذا الجانب من السور السيد القطان فيقول مانصه " كان الفضاء الممتد مابعد سور المدينة ومزار ابو الفضل متنفساً لأهل المدينة (مجسم ـ ٣) " [٢] أما البرج الثالث على باب الدغارة والبرج الرابع على الجهة المقابلة للفوار والخامس على باب الفوار وكلاهما شرقي البلدة والسادس عند جهة الجنوب الشرقي للبلدة ويكون مكانه اليوم على حافة النهر قرب مديرية الكهرباء وجسر الابطال الخمسة * أما عن شكل هذه الابراج التي تدعم السور فنظن بأنها كانت دائرية الشكل مقارنتاً مع الابراج الموجودة على العمائر والاسوار التي تعود الى العصر العثماني حيث يقول أحد ألاثاريين المختصين مانصه " أن أسوار المدن العراقية التي بنيت في العهد العثماني كانت مزودة بألابراج الدائرية الشكل كما هو الحال في أبراج سور مدينة البصرة

١ـ التميمي ـ صادق ـ أول الزمان مذكرات صبي من مدينة عراقية ـ مطبعة المعتز ـ عمان ـ ط١ ـ ٢٠١٠ ـ ص٥٦

٢ـ القطان ـ المصدر السابق ـ ٢٠٠٥ ـ ص١٤٠

*نظن بأن هذا البرج هو أكثر الابراج حصانة و أرتفاع في البناء من بقية الابراج لأنه يقع بالجهة المقابلة لتواجد وسكن قبيلة الخزاعل في الجهة المقابلة له حيث توجد هناك منشأت الخزاعل العمارية منها القلعة والديوانية (المضيف) وأستيطان الخزاعل في تلك الفترة هو (مكان الفرقة العسكرية الاولى اليوم) مما يعطي هذا البرج أهمية خاصة هي مراقبة تحركات الخصم والدفاع عن المدينة من تلك الجهة في حالة تعرضها للهجوم من قبل الاعداء

وكذلك سور مدينة الموصل الذي كان مزود بأبراج دائرية الشكل "[١] ومما لاشك فيه بأن هذه الابراج الموجودة في سور مدينة الديوانية كانت مزودة بأستحكامات دفاعية كالمزاغل التي يرمى منها بالبنادق وعلى مايبدو أنها كانت على شكل حنايا عريضة وكبيرة ذات عقود مدببة من الداخل وتكون ضيقة من الخارج لكي تجعل المدافعين يصيبون الهدف بسهولة كبيرة وهذا العنصر العماري (المزغل) كان موجوداً في عمارة العراق القديم والاسلامي لذلك فلاغرابة أن نجده منفذ على أبراج سور مدينة الديوانية وعلى أكثر الظن أن أبراج سور مدينة الديوانية كانت تحتوي على فتحات كبيرة الحجم تستعمل لمد رقبة المدافع علماً بأن سور الديوانية كان " مزود بالمدافع التركية الصنع التي جلبها من أسطنبول الوزير مصطفى باشا "[٢] أضافة الى ذلك فأن هذه الابراج لها وظيفة أنشائية أخرى هي دعم البناء وتقوية جدرانه كما ان لها وظيفة جمالية في البناء كما لانعلم هل أن هذه الابراج كانت من طابق واحد او من طابقين ولابد لهذا السور والابراج كانتا مزودتان بالشرفات (عرائس السماء)التي بدورها تعطي السور والابراج صفة جمالية وعسكرية ودفاعية وكذلك لابد من الاشارة الى الدعامات التي كانت تدعم السور والابراج حيث يظهر ذلك واضحاً في سور الديوانية انظر (الشكل ـ ١) ممايعطي السور قوة ومنعة

١ـ الدراجي ـ سعدي ـ تحصينات مدينة النجف دراسة عمارية لأسوارها ـ العمارة العربية قبل الاسلام وأثرها بعد الاسلام ـ مركز أحياء التراث العلمي العربي ـ بغداد ـ ١٩٩٠ ص١٣٣

٢ـ العزاوي ـ عباس ـ المصدر السابق ـ ١٩٥٣ ـ ج٥ـ ص١٤٦

المنشأت العمارية داخل سور المدينة:

يضم سور المدينة بين أضلاعه الثلاثة والرابع النهر الكثير من ألازقة الضيقة والدور الصغيرة والمحلات مثل محلة السراي ومحلة الجديدة ومحلة السوق وبهذا الصدد يذكر الحاج وداي العطية مانصه " كان في الجانب الشرقي أربعمائة دار " [١] وعلى مايبدو أنها مقسمة منها دور الطائفة المسلمة والطائفة اليهودية والطائفة المسيحية " أما جوامع المدينة فهي أربعة ألاول يقع في محلة السوق أنشأته الحكومة العثمانية والثاني جامع السوق بناه الحاج حسن بن جابر الجناحي أحد تجار المدينة سنة ١٨٧٣م وقد جدده اهل البلدة والثالث جامع السيد محمد بن السيد علي فؤاد الحسني وموقعه في محلة الجديدة الواقع على شارع النهر وقد بني في سنة١٨٧٨م والجامع الرابع جامع الحاج حمادي أرولي الواقع في محلة السوق قام ببنائه الحاج حمادي " [٢] اما الحمامات فتوجد فيها ثلاث ألاول منها الحمام الواقع في محلة السراي والثاني في محلة السوق وقد أندرسا ولم يبقى لهما أثر اليوم والثالث لايزال موجوداً وعامراً الى حداً ما * أما المدارس التي تقع داخل حدود السور فهي واحدة تسمى " المدرسة الرشدية التي بنيت من قبل الحكومة العثمانية في سنة ١٨٩٩م "[٣] وكان التعليم بهذه المدرسة باللغة العثمانية ومكانها اليوم على النهر وتحديداً في موقع كازينو الراية اليوم وبقيت الديوانية من غير مدارس عربية حتى سنة ١٩٠٩م حيث ظهر أهالي الديوانية يطالبون السلطات العثمانية يريدون فتح مدارس باللغة العربية وهذا مأكدته جريدة الرقيب في عددها الرابع

١ـ العطية ـ وداي ـ المصدر السابق ـ ص٣٥

٢ـ العطية ـ وداي ـ المصدر نفسه ـ ص٣٦

*يقال أن هذا الحمام بني من قبل بيت ألبو عبدالله أحد بيوت الديوانية القديمة والحمام ما لازال موجوداً وهو مبني وفق الطراز العثماني الجميل في بناء الحمامات العثمانية ومادة بنائه الاجر والجص والحمام اليوم يقع في المنطقة المحصورة مابين سوق التجار الحالي وشارع المصورين .

٣ـ النجار ـ جميل موسى ـ التعليم في العراق في العهد العثماني الاخير ١٨٦٩ـ ١٩٠٨م ـ مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ٢٠٠١ص١٤٤

لابد من الاشارة الى بناء يقع داخل حدود سور الديوانية وهو (التوراة) اليهودية وقد بنيت التوراة التي هي معبد لعبادة الديانة اليهودية في الديوانية بالقرب من بوابة السور (مقدمة سوق مستو) وهي اليوم في مكان مكتبة أستاذ شاكر والمحلات المحيطة بها ويبلغ مساحة البناء الكنسيت (التوراة) حوالي ٤٥٠متر ولهذا البناء باب من الخشب مرصع بمسامير كبيرة وله مفتاح كبير ويوجد في داخل هذا البناء حوض ماء يوضع عليه شموع كبيرة وفي داخل هذا البناء العديد من الايوانات حيث تعد هذه البناية جميلة عمارياً مبنية مع ماينسجم مع الشعائر اليهودية وقد هدمت هذه البناية في زمن قريب أي بعد تهجير الطائفة اليهودية من العراق بشكل جماعي في زمن وتحديداً على عبد الله الخفاجي مدير بلدية الديوانية .

كما يوجد عدد من الخانات داخل حدود السور مثل خان (عليه) وخان (شدهان)وخان(فشلة) ومن أكبر هذه الخانات هو خان (هداوي أغا)* وبني هذا الخان على الطراز العثماني في بناء الخانات وقد شغل هذا الخان من قبل العساكر العثمانية قبيل دخول البريطانيين الى الديوانية ومكانه اليوم في مصرف الرشيد في فتحة سوق التجار الحالي من جهة النهر . وفي نهاية الامر هدم هذا السوروذلك عندما " أمر الحاكم السياسي ديلي بهدمه عام ١٩١٨م لتوسع الرقعة الجغرافية للمدينة "[١] وقد أكملت " عملية أزالت السور بشكل نهائي في عام ١٩٣٤م"[٢] بأستثناء البوابة والمدخل فأنها كانت قوية جداً فقد صارعت الزمن وعوامل التعرية والمناخ لمدة أطول و أكثر من بقيت أجزاء السور الاخرى لربما قد تصل لسنة ١٩٤٨

---

*هداوي أغا من تجار مدينة الديوانية القديمة ومن سكانها ألاوائل وربما ينتسب هذا الرجل للأصول العثمانية (التركية) التي دخلت مدينة الديوانية منذ وقت مبكر وقد كان يعمل كعضو مؤسس في دائرة البلدية في الديوانية عام ١٨٧٥ م ولمزيد من التفاصيل (نصار ـ عبد العظيم ـ بلديات العراق في العهد العثماني ١٥٣٤ـ ١٩١٨ ـ مطبعة شريعت ـ ايران ـ ٢٠٠٥ ـ ص٢٢١).

١ـ الكعبي ـ غالب ـ من معالم الديوانية التراثية ـ جريدة صدى الديوانية ـ العدد٩٣ـ لسنة٢٠٠٩ ـ ص٥

٢ـ الكعبي ـ غالب ـ الجسور القديمة في ذاكرة مدينة الديوانية ـ جريدة الديوانية اليوم ـ العددالتاسع ـ في ٢٠٠٧/٥/٢٧ ـ ص٤

الخلاصة:

(سور مدينة الديوانية القديم / دراسة أثارية)

للمدن مكانة مهمة في نشوء الحضارة الانسانية وتعد مدينة الحسكة (الديوانية) واحدة من هذه المدن التي تبوأت مكانة مهمة من بين مدن الفرات الاوسط وحواضره وقد حاولنا قدر الامكان أن نضع تاريخ تمصير لهذه المدينة غير ان تاريخ المدينة غير مؤكدوليس هناك من المصادر أو الوثائق مايؤكد ذلك أذ سكتت أغلب المصادر بهذا الشأن وقد نكون أقتربنا بشكل كبير من تاريخ تمصير هذه المدينة من خلال البحث والتدقيق بالمصادر وهذا بدوره يقربنا من تاريخ بناء السور الذي تغطي تاريخ بنائه الكثير من الشوائب التاريخية وحاولنا أيضاً جاهدين بأن نسجل أقرب تاريخ لبناء السور ومن خلال هذا البحث والتقصي نستلخص بان هذا السور لايوجد له ذكر في كتابات السواح والرحالة اللذين مرو على المدينة لأنه لايوجد لهذا السور تمثيل من جهة النهر وبأعتبار النهر الطريق الوحيد الذي يأتي به السواح الى مدينة الديوانية وكذلك حاول البحث الوصول الى أولى محاولات الترميم والتجديد التي مرت على السور وقد توصلنا الى خلاصة بأن هذا السور لم تجر عليه زيادات بالمساحة والحجم من حيث الطول والعرض وأنما أجريت عليه فقط الترميمات والتجديدات في أرتفاعاته وسمكه وعدد الابراج التي كانت تقل في وقت ما وتزداد في وقت أخر

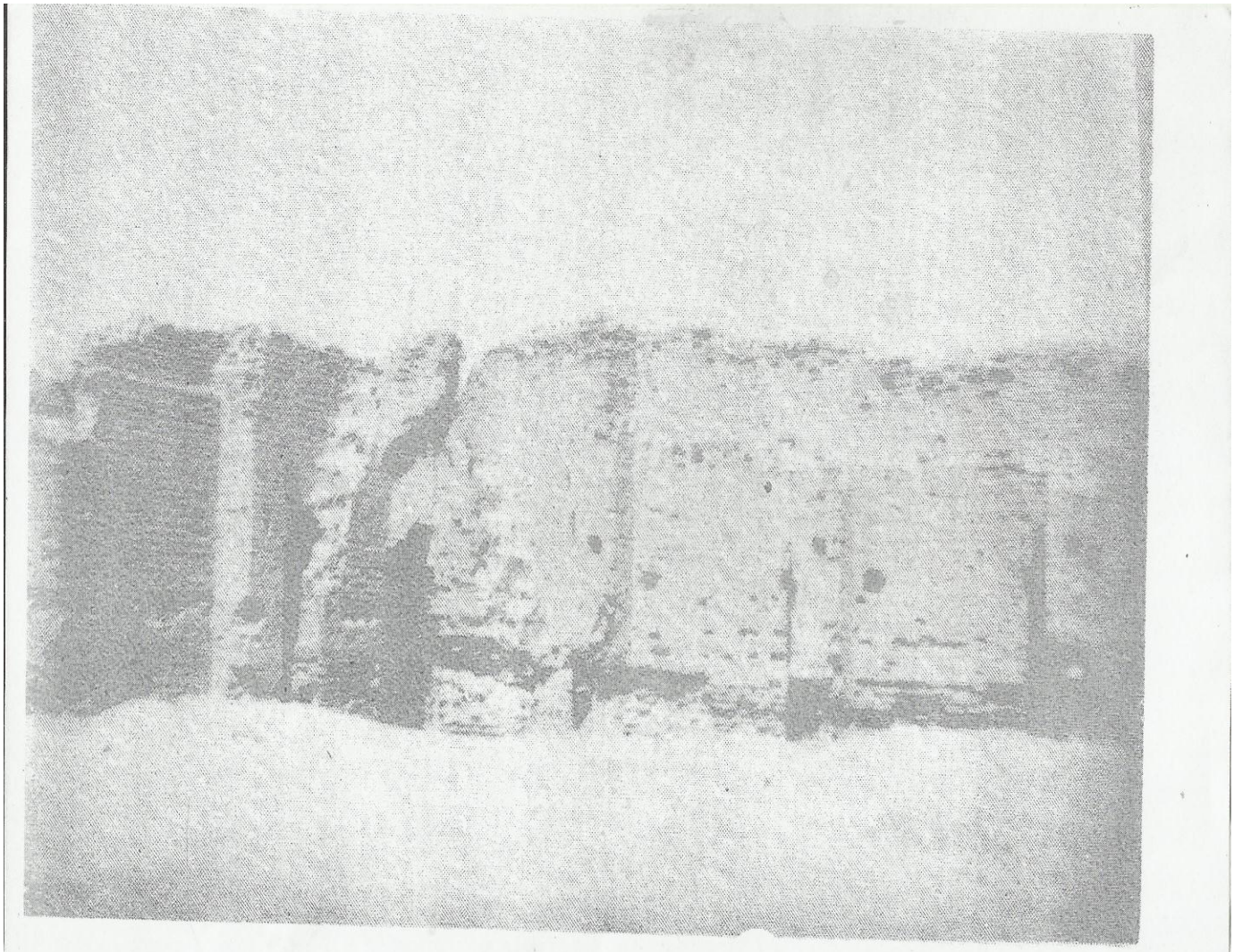

مقطع من سور الديوانية القديم / مـأخوذ من كتاب (القادسية بين الماضي والحاضر)

لسنة 1986 / ص46

(شكل - 1)

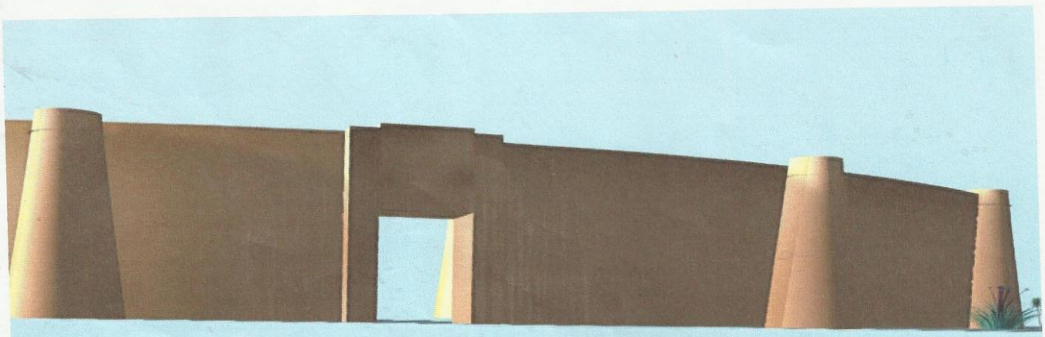

مجسم رقم (1)

مجسم تخيلي لسور مدينة الديوانية

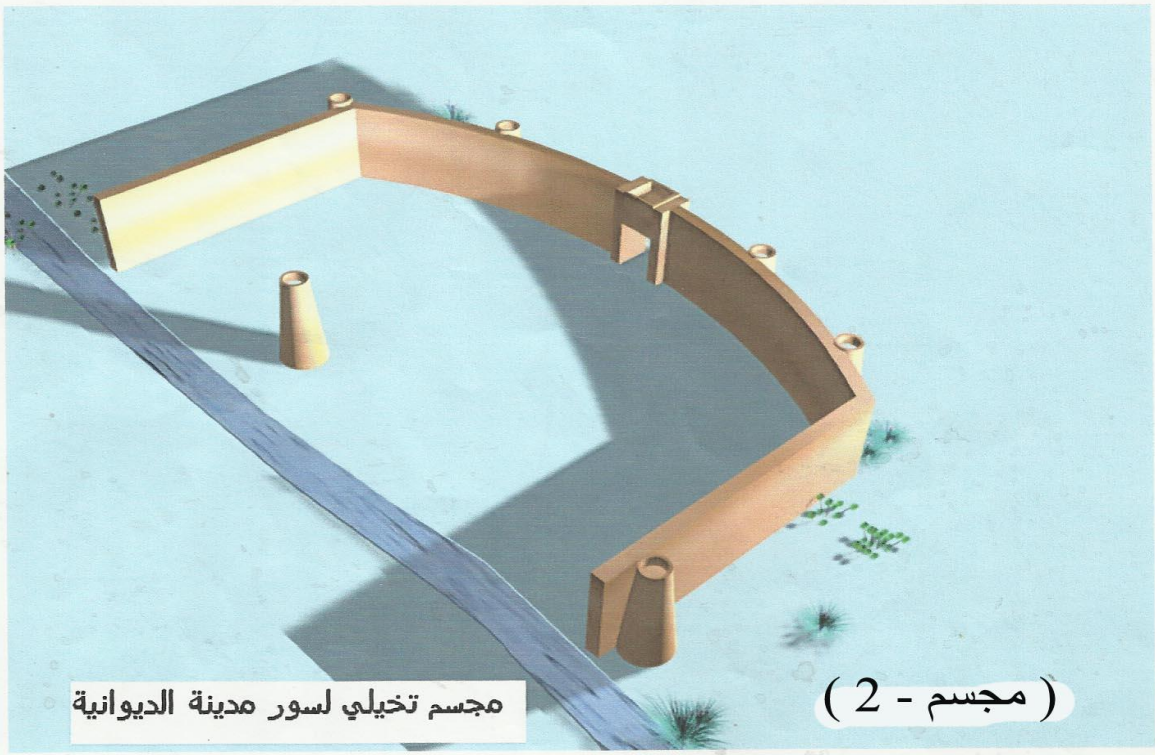

مجسم تخيلي لسور مدينة الديوانية

(مجسم - 2)

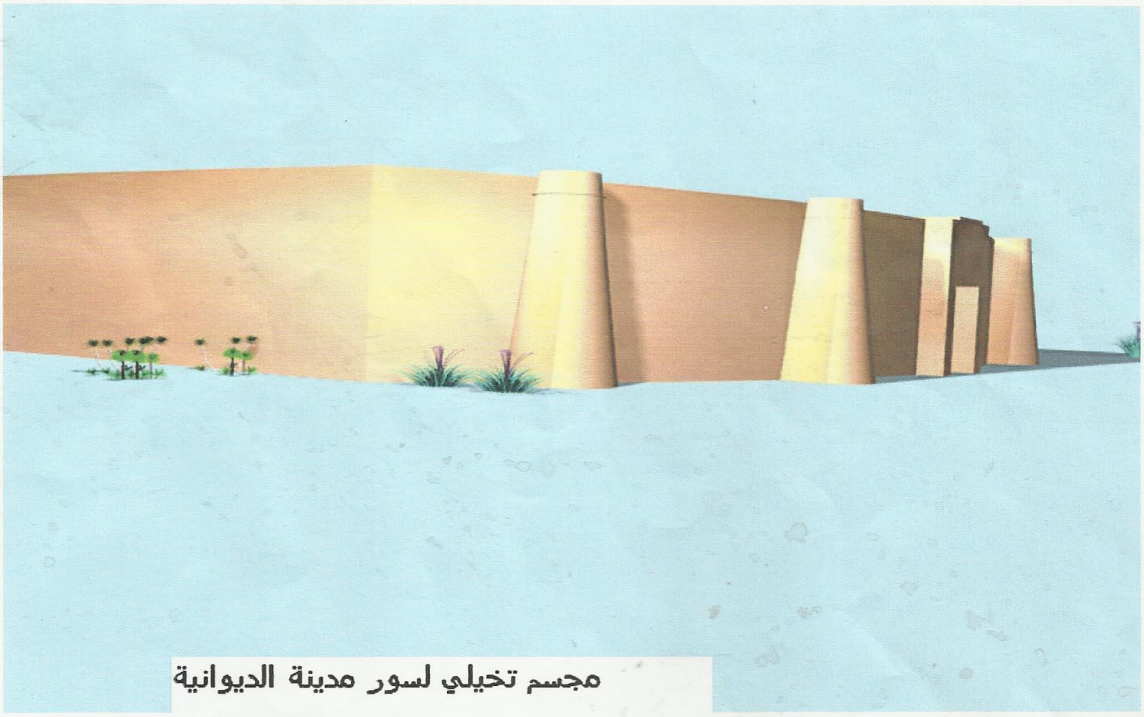

مجسم تخيلي لسور مدينة الديوانية

(مجسم - 3)